الثورة الثلاثاء 28 صفر 1432هـ الموافق 1 فبراير 2011م العدد (16883)

القات يستنزف 830 مليون متر مكعب من المياه ويهدر 20 مليون ساعة عمل يومياً

«الوباء» الأخضر.. يتمدد بصمت!!

القات تلك النبتة الخضراء الشهية التي تهفوا إليها الأنفس وتعشقها الأوداج ويتداعى لتناولها الرجال والنساء والأطفال والشباب والشيوخ، إنها محط اهتمامهم ومصدر ولعهم وزينة أفراحهم، تحضر بقوة في الأفراح والأتراح وتتألق في الأعراس والمآتم يتباهون في اقتنائها ويبتهجون عند تعاطيها، تشتعل في مجالسها قضايا الساعة الساخنة وتبادل الأفكار واستصدار القرارات.

فالورق الأخضر قتل الإنسان ودمر الأرض وتسبب بالجفاف واستنزاف المياه، و٨٣٠ مليون متر مكعب من المياه الجوفية يتم استهلاكها سنوياً للقات.. ويقدر متوسط الوقت المهدور في تعاطي القات ٢٠ مليون ساعة عمل يوميا وبلغ الإنفاق اليومي على المشروبات الغازية مليوني ريال يمني، أي ٣٧ ملياراً و٤٠٠ مليون ريال سنوياً.. نحن في» صحيفة «الثورة» نحاول كشف حقيقة هذه الآفة اللعينة القاتلة بصمت وتوضيح بعض آثارها وأمراضها المختلفة على الاقتصاد والإنسان والأرض والمجتمع والأسرة وغيرها من المخاطر وحقائق مؤلمة جداً وبالأرقام،،، فإلى تفاصيل ذلك التحقيق.

تحقيق/ محمد علي الجنيد - حسن خالد السراجي

خطورة وضراوة

القات وهم أخضر ويزداد خطورة وضراوة في كل يوم من حياتنا وزراعته في توسع مستمر على حساب محاصيل زراعية أخرى.

أهم البلدان التي تزرع فيها شجرة القات أفغانستان وتركستان، الكونغو، اريتريا، ملاوي، اوغندة، روسيا الجنوبية، تنزانيا، موزنبيق، اتحاد جنوب إفريقيا، زائير، فلسطين المحتلة، مصر، الصومال، الحبشة، كينيا، وتأتي اليمن بعدهم ولكن كل تلك الدول تركت" القات" للحيوانات تتغذى عليه ماعدا الصومال وكينيا واريتريا واليمن أصبح غذاءً لهم، وأول مناطق عرفت زراعة القات باليمن" عتمة" والعدين" وجبل صبر" أما صنعاء فبدأت زراعته في بداية القرن الثالث عشر الميلادي في كل من " الحيمة" وبني مطر و" همدان".

فاليمن السعيد تحول إلى" يمن تعيس" بسبب هذه الشجرة لأنها ذات أبعاد عديدة ومتنوعة منها ماهو اقتصادي واجتماعي ومنها ماهو أخلاقي وصحي، ومازالت البلاد منذ مطلع تسعينات القرن الماضي تعاني من تلك الشجرة ويتفق الكثير من العلماء والفقهاء والخبراء بأن القات ظاهرة عميقة الجذور في المجتمع اليمني وامتزجت امتزاجاً وثيقاً بثقافته ونسيجه الاجتماعي وتراثه الأدبي والفكري والشعري بوجه خاص، إذ تغنى به الكثير من الشعراء باعتباره أحد محفزات الكتابة الإبداعية.

والبعض يعتقد بوصفه قيمة اجتماعية يساعد في حل الكثير من القضايا، وآخرون أطلقوا عليه" قوت الصالحين" وهناك من يرى فيه أنه نبتة غريبة وشجرة شيطانية يجب اقتلاعها.

وباء خطير!!

القات أصبح بحجم الوباء وزيادة إقبال الناس على تعاطيه يشكل خطراً كبيراً على حياتهم ويهدد صحتهم وأرزاقهم.

وشمل تعاطيه كل شرائح المجتمع بالحضر والريف والمد، وغزا أوساط المرأة وطلاب المدارس، فالقات يأكل الأخضر واليابس بالذات مصروف العائلة الشهري حيث ينفق شهرياً للقات حوالي ١٢٪ من إجمالي دخل الأسرة ناهيك عن آثاره الصحية التي يصاب بها المتعاطون وهي أمراض عديدة. وسعت الحكومة جاهدة في مواجهة هذه الظاهرة بغية احتواء التوسع في زراعة القات والحد من زيادة استهلاكه وتعاطيه وتنوعت هذه المحاولات بين إجراءات وقرارات إدارية وتشريعية أوما يتعلق بزيادة الضرائب، ولكن جميع هذه المحاولات لم تحقق شيئًا يذكر، فقد ظلت مساحة زراعة القات في توسع مستمر وبقيت أعداد مستهلكيه ومتعاطيه في ارتفاع تصاعدي إلى حد الانفجار وفشلت بالملموس جميع الإجراءات الحكومية.

في عام ١٩٧٠م صدر قرار حكومي يتضمن إلزام موظفي الدولة بالعمل بعد الظهر لمحاربة تعاطي القات ولم يلق تجاوباً من الموظفين.

وفي عام ١٩٧٢م صدر قرار بقلع أشجار القات من أراضي الدولة والأوقاف ولكن فشل القرار.. كما صدر عام ١٩٧٦م قرار يقضي بمنع بيع وشراء القات باستثناء يومي الخميس والجمعة في عدن إضافة إلى قوانين وقرارات جيدة جميعها لم تؤت أكلها بل كان مآلها الفشل الذريع.

ترهل فاحش

القات شيطان اليمن الأخضر الذي يقتل الإنسان ويدمر الأرض، يستنزف المياه، يزيد الاقتصاد المترهل ترهلاً، زادت مساحة زراعته ٤٠٪ من نسبة الأرض المزروعة، ٤٣٪ من السكان فوق السن العاشرة يتعاطون القات، ٩٠٠ مليون متر مكعب من المياه الجوفية يتم استهلاكها سنوياً للقات. يقدر الوقت المهدور في تناول القات ٢٩ مليون ساعة عمل يومياً، ويصل الإنفاق اليومي على المشروبات الغازية مليوني ريال يمني أي ٣٦ ملياراً و٤٠٠ مليون ريال سنوياً، لهذا قام الرأسماليون في اليمن بإنشاء ١٠ مصانع للمياه المعدنية كفرص استثمارية تنتج أكثر من ٣ ملايين قنينة مياه يومياً، وتستورد اليمن ١٤٦ ألفاً و٥٠٦ أطنان من المياه المعدنية والمشروبات الغازية سنوياً من ٢٥ بلداً قيمتها ١١ مليار ريال.

الشعب اليمني يصرف يومياً ٧ ملايين دولار في شراء القات. هكذا قال الدكتور عبدالوهاب الآنسي مستشار وزارة الصحة العامة والسكان. وأضاف قائلاً:- نستطيع بالسبعة ملايين دولار أن نبني مصنعاً ويخرج الطلاب من الجامعات فيجدون عشرة آلاف الوظائف الشاغرة ونستطيع أن نبني مستشفى فتتوقف الرحلات الخارجية ونستطيع بالمبلغ ذاته أن نستصلح آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية وأن نبني مطاراً ونشيد ميناءً.

وهناك تقرير رسمي نشر في النصف الأخير من عام ٢٠١٠م أكد بأن ما ينفقه الشعب اليمني على القات يصل إلى ١,٢ مليار دولار سنوياً، وأصبح القات معضلة حقيقية تواجه اليمن وتهدد الأمن الغذائي في بلد يصنف من أفقر بلدان العالم.

السعودية تعاقب من يتعاطى القات أو يروّجه إلى حد الإعدام، وفي سوريا ومصر دول عربية أخرى بالسجن وقد يكون مؤبداً.

فشجرة القات تطرد الكائنات الحية فلا يقربها طير أو فراش، حتى الأغنام لا تستظل بها والحمار لا يأكلها أبداً كيف بالإنسان اليمني؟!.

كارثة بلد ولكن!

شجرة القات تعيش ١٦ عاماً متى قطع رأسها تعيد حياتها الأولى وتنمو من جديد.. وتبقى محافظات إب وصنعاء وتعز وحجة أكثر المحافظات المسئولة وزراعة للقات وتبقى محافظات عدن، والمهرة، وحضرموت، والحديدة التي تخلو من زراعة القات.

فالوباء الأخضر، واللص الخفي، والحاكم الأول لليمن، وآفة اليمن، والشجرة الملعونة، والشجرة السارقة، كارثة اليمن وشيطان في صورة شجرة، تلك أسماؤه التي دلت على أوصافه.

ولكن القات له آثار سلبية كثيرة على الأسرة من عدة نواحي أبرزها: فساد العلاقة الزوجية وفساد علاقة الأبوة وفساد علاقة الأبناء، ناهيك عن تدهور اقتصاد الأسرة (المخزنة) مما يؤدي إلى نقص الغذاء والملبس وعدم قدرة الأب المخزن الإنفاق على مستلزمات الدراسة مما يؤدي إلى تسرب الأبناء من المدارس واستقلال الأطفال اقتصادياً من العمل لجمع المال.

وأحياناً يكون السبب الرئيسي لـ" الطلاق" اللص الخفي في نهب الأسرة وتدميرها. وتجد الشيطان الأخضر يقف بالمرصاد في ضياع أداء الفرائض الدينية، فالشعب اليمني لا يستطيع أن يلغي قانون السماء ولكنه تمكن أن يتنقل من مذهب إلى آخر وبذلك استطاعت إرادة الإنسان اليمني أن تتحايل على قانون السماء في اليمن إذعاناً لسلطان الشجرة الملعونة السارقة.

عقوبة كبرى

ولكن تجد الماضغون للقات ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأول يضيع الصلاة ويترك أداءها كون" الكيف" يأتي في أوقات صلاة العصر والمغرب والعشاء تلك الفروض تضيع لأنها مواعيد مضغ القات"، وبعدها يأتي السهر والأرق عند ماضغي القات فلا ينامون إلا في وقت متأخر جداً من الليل فتأتي صلاة الفجر وهو نائم فلا يؤديها فتضيع الصلاة.

لكن كثيراً من الناس يجهلون الحكم الشرعي للصلاة ولا يدركون عاقبة تركها وقال الله عز وجل:" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا" سورة مريم"٥٩".

وقال تعالى" كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين" المدثر.

والقسم الثاني يجمع بين الصلاة بدون عذر إلا القات. ويأتي القسم الثالث وهم الأفضل وهؤلاء يحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها ولكن معظم هؤلاء من الذين يمضغون القات يصلون في البيوت ولا يحافظون على أدائها جماعة في المسجد وأحياناً هم يصلون جماعة في مكان مضغ القات" المقيل".

وحث الإسلام المسلم على حضور الجماعة وحذر من عدم حضورها فقال عليه الصلاة والسلام" من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر".

أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل أعمى فقال" يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد. فسأل أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ فقال نعم، قال: فأجب".

آثار صحية مدمرة

كشفت تقارير طبية عن ارتفاع نسبة عدد اليمنيين الذين يصابون بمرض السرطان كل عام خاصة سرطان الدماغ والبلعوم وذكرت تقارير حديثة لمنظمة الصحة العالمية أن عدد الأشخاص الذين يصيبهم السرطان في اليمن بلغ ٢٠ ألف شخص سنوياً وتصل نسبة الوفيات بينهم إلى ٦٠٪ أي ما يعادل ١٢ ألف شخص في السنة.

أشارت دراسة حديثة قام بها مجموعة من المتخصصين في عام٢٠٠٨م بأن هناك ما لا يقل عن ١١٨ نوعاً من المبيدات التي تسبب مرض السرطان تستخدم من قبل مزارعي القات.

وقالت الدراسة إن ٧٠٪ من أسباب مرض السرطان تعود إلى المبيدات التي دخلت مختلف مأكولاتنا وإن كانت بنسب متفاوتة إلا أنها الأشد والأخطر في القات. وأكدت الدراسة أن ١٥,٧٣٪ من مزارعي القات يستخدمون مبيد جيموثاث في زراعة القات و٩٢,٥٪ من إجمالي المزارعين الذين يستخدمون إلى جانب هذا المبيد السام مبيد مونوكدروتوف وأنواعاً أخرى سامة جداً.

وأضافت الدراسة العلمية التي قام بها الباحث عبدالرحمن علوي بن يحيى من مركز دراسات وعلوم البيئة في جامعة عدن أن كمية المبيدات المستوردة خلال عام ٢٠٠٥م فقط بلغت ١٨٤٦٠٩ أطنان، مشيرة إلى أن معظم المبيدات المستوردة من نوع المركبات العضوية الفسفورية والكارباماتسية ذات الطابع السمي كونها مواد مسرطنة تحتوي على تسعة أنواع من المبيدات.

وللقات أمراض متعددة، إن مضغ القات يشوه بنية النطف عند الحيوان، فهل هذا الأمر سيلحق الأذى بالجنس البشري في اليمن؟!.

عقم ودمار!!

ومن أضرار القات" العنة والعقم" كون القات يحتوي على مركب الكاثينون وهو مركب قلوي يسبب انخفاضاً في عدد وحركة النطف المنوية السليمة وزيادة في عدد النطف المشوهة، كما أنه يسبب انخفاضاً في تركيز هرمون التستيترون المسئول عن صفات الذكورة الأمر الذي يؤدي إلى ضعف الرغبة الجنسية وقلة كمية السائل المنوي عند القذف أحياناً وهذه بدورها تؤدي إلى العقم.

الحرمان من النوم وسوء التغذية والسرطان وضغط الدم وقرحة المعدة والإمساك والجلوكوز ورفع سكر الدم والغدة الدرقية ينشطها القات مما يؤدي إلى رفع ضغط الدم وزيادة الاحتياج إلى الأكسجين لعضلة القلب نتيجة نشاط الغدة الدرقية مما قد يؤدي إلى الإصابة بنوبات قلبية مسببة للوفاة خاصة عند مرضى القلب.

ولكن ماذا يقول الأكاديميون المتخصصون في هذا الوباء الخطير الذي يهدد اليمن السعيد بصورة كاملة؟!

الدكتور/ فيصل الخرساني طبيب في المركز الوطني للأورام يقول:- الله سبحانه وتعالى خلق جسم الإنسان بمواد كيماوية متزنة يؤدي تداخلها مع هذه الكيماويات المسمومة الموجودة في القات إلى نشوء خلايا متطفلة تسمى" السرطان".

ولكن الدكتور/ عبدالرحمن ثابت أستاذ سمية المبيدات وتلوث البيئة بجامعة صنعاء يؤكد قائلاً:

إن أعشاب القات لا تخلو من المبيدات حتى بعد غسلها بالماء جيداً لأن المبيدات تتخزن داخل نبتة القات نفسها وبالتالي فهي أحد مكوناته الأساسية ولهذا فالإقلاع عن مضغ القات هو الحل الأمثل للوقاية من الأمراض.

ويرى الدكتور علي مهيوب العسلي قسم الاقتصاد الزراعي تخصص تسويق زراعي أن القات مشكلة اجتماعية سياسية اقتصادية وصحية. ونادى الدولة قائلاً: لا توجد قوانين صارمة تحد من انتشار شجرة القات والمفترض أن كل شجرة جديدة تستحدث في أي بقعة من الأرض يغرم ويحبس من زرعها.

آفة الآفات

بينما ذهب الدكتور محمود علي عبدالله المفلحي - تخصص أمراض نبات كلية الزراعة جامعة صنعاء قائلاً: يجب على الدولة رصد ميزانية ضخمة لمساعدة المزارع على قلع هذه الشجرة تدريجياً.

ولكن تجد أن إدمان بعض المخزنين على تعاطي القات يبلغ بهم حد التنصل عن تحمل مسؤولية الإنفاق على أسرهم تنصلاً تاماً لأن ميزانية شراء القات تأتي على راتب الواحد منهم كلية.

فالآفة الخطيرة والوباء الأخضر يبدو في اليمن مقلقاً للجميع ومرتعاً خصباً للغالبية العظمى الذين يقضون ساعاتهم السليمانية في مضغها، إلا أن هذا الوباء الأخضر يشهد توسعاً بمعدل ٤-٦ آلاف هكتار سنوياً ويستحوذ على أكثر من ٣٠٪ من المياه المخصصة للزراعة، فضلاً عن ارتفاع إنتاجيته واستهلاكه خلال السنوات الأخيرة.

وصدق العلامة الاديب الراحل محمد بن سالم البيحاني في قصيدته" آفة الآفات" قائلاً:

إن رمت تعرف آفة الآفات
فانظر إلى إدمان مضغ القات
القات قتل للمواهب والقوى
ومولد للهم والحسرات
ما القات إلا فكرة مسمومة
ترمي النفوس بأبشع النكبات
ينساب في الأحشاء داءً فاتكاً
ويعرض الأعصاب للصدمات
يذر العقول تتيه في أوهامها
ويذيقها كأس الشقاء العاتي
ويميت في روح الشباب طموحه
ويذيب كل عزيمة وثبات
يغتال عمر المرء مع أمواله
ويريه ألواناً من النقمات
هو للإرادة والفتوة قاتل
هو ماحق للأوجه النضرات
فإذا نظرت إلى وجوه هواته
أبصرت فيهم صفرة الأموات

ولكن تظل الدولة عاجزة جداً في الحد من إيقاف خطورة القات وانتشاره وعدم توريد ضرائب القات المحصلة لخزينة الدولة، لأن هناك تلاعباً واضحاً في جمعها وتجمع" مقاولة" وبذلك تضرر الاقتصاد الوطني.

١,٢ - مليار دولار سنوياً ما ينفقه اليمنيون على القات و٧ ملايين دولار يومياً
٢٠ - ألف شخص سنوياً يصابون بالسرطان بسبب القات